المحاضرة الرابعة:

مراحل النمو النفسي الجنسي عند فريد

مراحل النمو من وجهة نظر فرويد:

توصل فرويد إلى اكتشاف الهيآت المكونة للجهاز النفسي من خلال دراساته للاضطرابات النفسية للراشد، وانطلاقا من تقسيمه للجهاز النفسي توصل إلى افتراض وجود مراحل نمو عند الطفل، فمراحل النمو والهيئات المكونة للجهاز النفسي عند فرويد كانت تهدف في البداية إلى تفسير السلوكات المرضية (les conduites pathohogiques) عند الراشد.

دراسة الطفل عند فرويد وسيلة لفهم وتفسير السلوكات المرضية عند الاشد وكان هذا هو هدفه ومشروعه الأولي والأساسي، أظهرت دراسة العصابات لفرويد عالما مكونا من رغبات متمركز خاصة حول رغبات جنسية تبحث من خلال التظاهرات المرضية والأعراض عن الإشباع بطرق مختلفة وفي غالب الوقت شاذة، ولقد اضطر البحث التحليل، كما يقوله فرويد، أن يولي اهتمامه للحياة الجنسية الطفولية وتوصل إلى ذلك لأن الذكريات والأفكار التي يصدرها الفرد خلال تحليل أعراضه، ترجعنا دائما حسب فرويد إلى السنوات الأولى من الطفولة، كذلك فالبحث عن إشباع الرغبات الجنسية الخاضعة للقمع يظهر هو الآخر، حسب رأي فرويد، في الأحلام، ويقول فرويد في هذا الصدد: «إذا كنا قد وجدنا كل هذه الرغبات الشاذة وراء أحلامنا المشوهة، هذا يعني فقط أن في هذا الميدان كذلك لقد قام الحلم بنكوص إلى الحالة الطفولية».

ومن هنا تعتبر دراسة الطفل عند فرويد حلقة في دراسة المرض عند الراشد دراسة الطفل هي التي تسمح فهم وتكوين الأعراض والتوصل غلى أسباب ظهورها (étiologie)، إن العصابات ناتجة عن تثبيتات اليبيدو خلال النمو الجنسي عند الطفل، كما أنها ناتجة كذلك عن استعدادات جنسية وراثية مرتبطة بأحداث الحياة ما قبل الميلاد.

فالطفولة ماهي إلا عامل تفسيري للاضطرابات السلوكية عند الراشد، وبالتالي ليس الطفل في حد ذاته أو في شمولية سلوكه ونموه هو الذي يهم فرويد بل الشيء الذي كان يهمه بالأخص هي بعض

النشاطات التي كان يظن أنه سوف يجد فيها التظاهرات الأولى للجنسية الشيء الذي أدى بفرويد إلى الاهتمام بالنمو الجنسي ومن هنا فالمراحل الأولى التي أتى بها فرويد سنة 1905 هي مراحل النمو الجنسي عند الطفل.

إن مراحل النمو النفس–جنسية ماهي إذن إلا أدوات لتعريف وتصنيف الأعراض، ولابد أن نشير إلى أن المراحل الأولى التي أتى بها فرويد سنة 1905 لم تعتمد على معطيات مستخلصة من ملاحظة مباشرة للأطفال بلا استنتجها فرويد من دراسة سلوكات الراشد فالمراحل الفرويدية أتت إذن من خلال مقارنات خارجية بين الطفل والراشد وبالأخص بين الراشد المريض والطفل، الشيء الذي كان يهم فرويد هو ملاحظة التظاهرات الجنسية الشاذة للراشد من خلال سلوكاته المرضية الشيء الذي أدى به القول: «إن أعراض الهستيريا هي التي سمحت بالاعتبار أن كل أعضاء الجسد، علاوة على وضيفتهم الطبيعية، تلعب دورا جنسيا، هذا الدور الذي سرعان ما يصبح مسيطرا غلى درجة اضطراب الوظيفة السوية لهذا العضو ويضيف إلى هذا قائلا: «لقد تحققنا من كل هذه الاستنتاجات بالتفصيل من خلال ملاحظتنا المباشرة على الأطفال حيث تأكدنا من أن كل الميولات الشاذة تغرس جدورها في الطفولة، أما الجنسية الشاذة ماهي لا شيء سوى تضخيم وانحلال للجنسية الطفولية إلى ميولات خاصة».

إضافة غلى كل هذا يمكننا أن نقول أن تفسير النمو عند الطفل أدى بفرويد إلى المقارنة بين الطفل والراشد المريض بالبدائي، ويقول فرويد في هذا الصدد: «يمكننا أن نجد الطفل في الأحلام وفي العصابات وذلك بنموذجه التفكري وحياته الوجدانية كما نجد مذلك الرجل البدائي المتوحش كما يظهر لنا على ضوء بحوث علماء الآثار والأتنوغرافيا».

توصل فرويد من خلال مقارنته للطفل والبدائي غلى النظرية التلخيصية (التكرار، الإعادة) (Théorie de la récapitulation) في كل شموليتها حيث يقول: «إن نمو اليبيدو ونمو الأنا ما هما إلا مخلفا أو إعادة مختصرة للنمو الذي مرت به الإنسانية منذ نشأتها» ويؤمن فرويد بوجود علاقة تداخل بين مراحل نمو الإنسانية ومراحل نمو الفرد حيث يمكننا أن نجد–حسب رأيه– وذلك سواء في الزمن أو في المحتوى أن:

–المرحلة الحياتية أو الاحيائية (Animiste) تقابل المرحلة النرجسية عند الطفل.

-المرحلة الدينية تقابل المرحلة الموضوعية المتميزة بتثبيت الليبيدو في الوالدين.

-أما المرحلة العلمية، فهي تقابل مرحلة النضج عند الإنسان والمتميزة بالتخلي عن البحث عن الإشباع وبإخضاع اختيار الموضوع الخارجي إلى متطلبات الواقع (فرويد، 1965، ص 106).

1-مراحل النمو من وجهة نظر فرويد:

تعتبر المراحل الفرويدية أحسن وأدق المراحل التفسيرية للنمو الوجداني عند الطفل، وبالرغم من ذلك، لا يحتل جهاز المراحل الفرويدي إلا مكانة محدودة جدا في نظرية التحليل النفسي ككل عكس ما هو الشأن مثلا عند بياجيه أين تعتبر مراحل النمو عنده العنصر المركزي.

لم يدرس فرويد كما رأينا إلا مراحل النمو الجنسي عند الطفل والمراهق التي تطابق مراحل النمو الوجداني وكذلك النمو بصفة عامة، في الواقع لم يكن فرويد مهتما بمفهوم المراحل وبالتالي لا نجد عنده كما هو الشأن عند بياجيه مثلا تفسيرات فيما يخص العناصر المكونة لمفهوم المراحل الشيء الذي أدى إلى أن مفهوم المراحل بقي عند فرويد، غلى حد ما، مرتبطا بالوصف الذي أتى به للمراحل، وبالتالي يبقى مفهوم المراحل عنده غامضا ومبعثرا عبر نظريته التي تهتم خاصة بنفسية الراشد والتي هي الميدان الخاص بعلم النفس التحليلي.

من جهة أخرى يمكننا أن نقول أن مفهوم المراحل عند فرويد مرتبطة بمفهومه للجهاز النفسي وتوظيفه السوي وخاصة توظيفه المرضي، كما أنه مرتبطة كذلك بالنمو الزمني لهذا الجهاز سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الإنسان بصفة عامة أي النوع البشري، والبعد النشوئي لنظرية فرويد آت من هذه الفكرة التطورية النشوئية التي أدت إلى مفهوم المراحل لديه.

يندرج مفهوم المراحل الفرويدي في إطار تصور للجهاز النفسي كما يندرج كذلك في إطار تأسيس ونشأة هذا الجهاز النفسي المبني على ضوء معطيات مرضية والتي يعتبر فرويد أنه يمكن تطبيقها على الإنسان السوي، يقول فرويد في هذا الصدد: « نحن مجبرون بتطبيق وتوسيع إلى الإنسان السوي عدة معطيات مستنتجة من العلاقات الموجودة بين الأحلام والأعراض، وعليه يمكننا أن نستنتج أنه كذلك ميال للتعاطي للكبة كما أنه يبدل مجهودا معتبرا من أجل إبقاء المكبوتات لاشعورية وأن جهازه اللاشعوري يخفي رغبات مقموعة لازالت مشحونة طقويا وأن جزء من أللبدو الخاصة بيه مخفية ن رقابة الأنا، فالإنسان

السوي إذن هو عصابي بأتم معنى الكملة ويبدو أن الحلم هو العرض الوحيد الذي هو قادر على إحداثه، لكن هذا ما هو إلا مظهر لأنه إذا فحصنا بتمعن حياة الإنسان السوي في حالة اليقظة نكتشف أن هذه الحياة التي تبدو سوية مملوءة في الواقع بمجموعة من الأعراض حتى وإن كانت هذه الأعراض محدودة الأهمية، إن الفرق بين الصحة العصبية والعصاب ما هو إلا فرق متعلق بالحياة العملية وهو راجع إلى درجة الإشباع المحصل عليه والنشاطات التي هو لازال قادرا على القيام بها، ومن الممكن جدا أن ينحصر هذا الفرق غلى العلاقة الموجودة بين كمية الطاقة التي لازالت حرة وكمية الطافة التي وقع عليها الكبت، يرجع هذا الفرق إذن إلى فرق كيفي ولاكمي» (فرويد سنة 1917، ص 434).

تجدر الإشارة هنا غلى أن من الجهاز الأول إلى الجهاز الثاني لم تتغير انشغالات فرويد إذ أن شغلة الدائم يكمن في محالو تفسير الصراعات القائمة بين مختلف الحوافز وكذلك عن "اللامنطقية" التي هي مصدر تكوين هذه الحوافز والتي لاحظها فرويد في تحليله للسلوكات المرضية، وحسب رأيه المراحل الطفولية هي التي تسمح لنا بفهم نشأت الصراعات، تطورها، ورسوبها على شكل أجهزة متتابعة تتحول إلى منبع للحوافز عند الراشد، من جهة أخرى المراحل الفرويدية تعتبر كمراحل تكوين الطبع الذي هو ذو منشأ وجداني مرتبط في البداية.

2-الجهاز النفسي والمراحل الفرويدية:

«المراحل الفرويدية هي مراحل نشأة الجهاز النفسي مع مختلف هيآته التي ظهرت تدريجيا خلال النمو»(تران تونق، مرجع سابق، ص 109)، ويبدو من وجهة نظر تران تونق أن فهم كيفية نشأة المراحل الفرويدية متعلق بكيفية ظهور الجهاز النفسي بمختلف هيآته وكذلك بكيفية توظيفه.

إن توظيف الجهاز النفسي الفرويدي يأخذ بعين الاعتبار ثلاثة نقاط رئيسية هي:

أ-وجهة نظر الديناميكية.

ب-وجهة نظر المكنية أو الموقعية.

ت-ووجهة نظر الاقتصادية.

-مراحل النمو الليبيدي:

تتميز كل مرحلة من مراحل النمو الفرويدية بمستوى من النضج النزوي وينوع أو نمط (Type) من علاقات الموضوعية التي تتكون حسب ميكانزمات نوعية، إن جهاز المراحل الفرويدية يحتوي على خمسة مراحل هي: المرحلة الفمية من 0 إلى سنة، المرحلة الشرجية من سنة إلى ثلاثة سنوات، المرحلة القضيبية من ثلاثة سنوات غلى خمس أو ستة سنوات، المرحلة الكمونية من خمس أو ستة سنوات إلى غاية البلوغ أين تأتي آخر مرحلة هي المرحلة التناسلية.

كل مرحلة من هذه المراحل تناسب نموذج خاص من لاستناد للنزوة الجنسية، إن كلمة استناد (anlehnung) في اللغة الألمانية étayage و في اللغة الفرنسية) «تعني العلاقة البدائية للنزوات الجنسية بنزوات حفظ الذات، إن النزوات الجنسية التي لا تستقل إلا ثانويا، تستند إلى الوظائف الحيوية التي تعطيها منبعا جسديا، اتجاها وموضوعا» (لابلانش وبونتاليس، السابق الذكر، ص 148).

من ناحية أخرى استناد النزوة الجنسية إلى بعض أجزاء الجسد يبرز شبقية هذه الأخيرة التي تتحول هكذا إلى مناطقة شبقية، ويعتبر فرويد الإحساس باللذة الآتي من هذه المناطق ذو طابع جنسي (فرويد 1917، ص 294).

المناطق الشبقية الأساسية هي ثلاثة: الفم، الشرج، والأعضاء التناسلية، رغم ذلك كل منطقة من مناطق الجسد يمكنها أن تتحول إلى منطقة شبقية.

كل منطقة من هذه المناطق الشبقية الأساسية مرتبطة بإشباع حاجة أساسية: الفم بالتغذية، الشرج بإخراج الفضلات، والأعضاء التناسلية بالتناسل، لكن اللذة المحصل عليها من المنطقة الشبقية غالبا ما تكون بدون أية علاقة مع اللذة المرتبطة بإرضاء الحاجة الأساسية المناسبة لها، مثلا: المص أو الاستمناء بخفضان حقيقة الضغط الناتج عن النزوة الجنسية المستندة إلى هذه المناطق إلا أنهما لا يرضيان الحاجة الأساسية المرتبطة بهذه المناطق كالجوع والتغذية أو استمرارية النسل.

تلعب المناطق الشبقية دورا هاما جدا في النمو إذ أنها هي أول منبع هام للإثارات المزعجة التي يضطر الطفل مقاومتها كما أنها تعطيه أول تجربة هامة في الإحساس باللذة.

-المرحلة الفمية من 0 إلى سنة:

أهم منابع اللذة الفمية هي نوعان: من جهة الإثارة اللمسية عند وضع أي شيء في الفم ومن جهة

أخرى العض، الإثارة اللمسية للشفتين أو لداخل الفم تنتج اللذة الفمية الشبقية (الجنسية)، بينما العض يعطي اللذة الفمية العدوانية التي تظهر بعد ظهور الأسنان عند الطفل.

تلعب هذه المنطقة دورا فعالا في تكوين الطبع وذلك عن طريق خاصية التثبيتات حيث أن التثبيت في هذه المرحلة من الحياة غالبا ما ينتج عنه نموذج خاص من السلوك كالتعطش للحب، للمعرفة، للمال...

-المرحلة الشرجية من سنة إلى ثلاثة سنوات:

تخضع المنعكسات الاخراجية (réflexes expulsifs) اللاإرادية لأول مرة للرقابة الإرادية خلال السنة الثانية من الحياة (تعلم النظافة)، ويمثل تعليم النظافة عند الطفل أول تجربة هامة في حياته للانضباط ولسلطة خارجية، يحدث من جراء هذا الاصطدام بالسلطة صراعا هاما بين نزوات الطفل والحاجز الخارجي، وغالبا ما يترك هذا الصراع آثارا لا تمحى من الشخصية.

الطرق المستعملة من طرف الأم في تعليم ابنها النظافة تحدد إلى حد بعيد طبعه والمعروف هو أن الطفل بطبيعته يقاوم كل ما أردنا أن نتدخل في أمر يجلب له اللذة، إذ كان هذا التدخل صارما ومصحوبا بعقوبات، يؤدي ذلك إلى انتقام من طرفه وذلك بتوسيخ نفسه عمدا، وعندما يكبر مثل هذا الطفل نراه يسلك اتجاه آية سلطة (التي ينظر إليها دائما من زاوية الإحباط) سلوكا غير مسؤولا، غير منتظما، سلوكا شاذا...الخ.

لكن من جهة أخرى يمكن أن يؤدي نفس التدخل الوالدي الصارم إلى سلوكات أخرى يمكن أن تكون عكس ما ذكرناه الآن وذلك عن طريق التكوين العكسي (Formation réactionnei) في هذه لحالة يكون طبع الفرد ميال أكثر إلى النظافة، الاقتصاد....

هذا إذن في حالة التدخل الصارم في تربية الطفل على النظافة، عكس ذلك، إذا كانت الأم متساهلة في تربيتها مثلا، ومتسامحة، فالطفل في هذه الحالة يصل إلى اعتبار فضلاته كشيء ذو قيمة كبرى مما يؤدي فيما بعد إلى تكوين طبع يتسم بالإعطاء والكرامة...الخ.

إذ إهتمينا كثيرا بالإخراج عند الطفل ممكن أن يصل به الأمر إلى اعتبار الفضلات كشيء ثمين وكل ما تبرز يستجيب للإخراج بإحساس سلبي وكأنه فقد شيء ذو قيمة كبرى، يؤدي هذا الاحساس فيما بعد إلى طبع يتسم بالإمساك، عدم العطاء، الامتلاك، الشح.

يوجد في هذه الحالات كذلك تكوين عكسي ينتج عنه أشخاص يتسمون خاصة بالتبذير، الشعور بالذنب كلما تمكنوا من اكتساب شيئا مما تؤدي عندهم غلى التخلص من كل ممتلكاتهم الشيء الذي يجلب لهم ارتياحا كبيرا.

-المرحلة القضيبية من ثلاثة سنوات إلى خمس او ستة سنوات:

إن هذه المرحلة من النمو التي يكون فيها الطفل مهتما بصورة غير عادية بأعضائه التناسلية ب تسمى بالمرحلة القضيبية، كلمة قضيب (phallus) كلمة لتنية ترمز إلى العضو الذكري، ولقد اتسعت معنى كلمة قضيب وأصبحت تشمل عذة سمات كالرجولة، السلطة، والقانون، وبما أن كل هذه السمات تميز الرجل، وبما أن كذلك الرجل هو الذي يملك العضو الذكري فأصبحت كلمة قضيب ترمز في علم النفس التحليلي غلى العضو الذكر، لكن من وراء ذلك فهي تدل على الصفات أو السمات التي يتميز بها صاحب العضو الذكري أي الرجل، إن هذه السمات تستطيع المرأة كذلك أن تكتسبها (المرأة القضيبية) بمعنى أن المرأة كذلك بإمكانها أن تحمل القضيب وترمز إلى السلطة.

يمر كل من الذكر أو الأنثى بهذه المرحلة الحاسمة من الحياة التي أطل عليها فرويد اسم المرحلة الأوديبية نظرا للصراع الهام اذي يحدث خلالها بين ميولات الطفل النزوية والمحرمات الجنسية التي يدرك أهميتها لأول مرة يرمان كلا الجنسين إذن بهذه المرحلة لكن لكل منهما تجربة خاصة ولذلك الغرض سنتعرض الآن إلى مرحلتان قضيبيتان: مرحلة قضبيية ذكرية ومرلحة قضبيبية أنثوية.

-المرحلة القضيبية الذكرية:

قبل ظهور المرحلة القضبيبة حب الطفل الأول هو الأم كما أنه في نفس الوقت يتقمص أباه لكن من الدفعات الجنسية المتزايدة في هذه المرحلة حب الطفل لأمه يبدأ يأخذ شيئا فشيئا طابع زنا المحارم (Inceste)نتيجة لذلك يبدأ يغير من أبيه الذي يتحول بالنسبة له إلى منافس (Rival) وهذه الوضعية التي يطالب فيها الطفل "بالامتلاك الجنسي" للأم ويظهر أحاسيس عدوانية تجاه الأب تحمل اسم "مركب أو ديب" (Complexe d'cediobe)، يروي في الأساطير اليونانية فيما يتعلق بقصة "أوديب" أن قبل أن يلد هذا الأخير تكهن كاهن لأبيه "لايوس" (Laios) ملك مدينة طابا (Thébes) أنه لوقد الله وأنجب طفلا سيقتله ويتزوج من أمه "جوكاست" (Jocaste)، لكن بالرغم من هذا التكهن إلا أن هذا الطفل ولد

بالفعل، فأخذه أبوه "لايوس" وأعطاه لرعاته طالبا منهم قتله، أخذوه هؤلاء الرعاة إلى قمة جبل "سيتيرون" (Cithéron)، وعوضا أن يقتلوه علقوه من رجليه في شجرة الشيء الذي أدى إلى تسمية هذه الطفل "أوديب" أي ذو الرجلين المنتفخة (Pieds enflés)، إل أنه لم يمكث طويلا معلقا هناك ولك بفضل مرور رعاة آخرون بهذه المنطقة والذين بعد إطلاق صارحه، أخذوه معهم إلى ملك مدينة كورانث (Corinthe) كإبنا له عندما كبر "أوديب"، وفي سفر له، استشار كاهن مدينة "دالف"L'oracle de Delphes الذي أخبر أنه لو عاد إلى بلاده سيكون مصيره قتل أبيه والزواج من أمه، ضنا أن هذا التكهن متعلق بمدينة "كورانث" والملك الذي تكفله، توجه "أوديب" إلى مدينة "طابا" تجنبا لمدينة "كورانث" في طريقه لهذه المدينة التقى بشيخ مسن، فتشجر معه وقتله، هذا الشيخ المسن هو "اليوس" هكذا إذن يقتل "أوديب" أباه دون أن يعلم، في طريقه لمدينة "طابا" وبعد أن قتل "لايوس"، سمع "أديب" بأن هذه المدينة مهددة بوحش خطير جدا يمنع الدخول والخروج منها، كما أنه سمع ان ملكة هذه المدينة وعدت الزواج من كل شخص يخلص مدينتها من هذا الوحش، ولقد كان الوحش المسمى (Sphinx) يعرض لغزا على كل من يريد الدخول أو الخروج من مدينة "طابا" هذا اللغز هو: من هو الكائن الحي الذي يمش على أربعة في بداية حياته، على اثنين في وسط حياته وعلى ثلاثة في عشية حياته، وكان "الصمل" يلتهم كل من يفشل في حل اللغز و"أديب" هو الوحيد الذي استطاع حله ونتيجة ذلك رمى الوحش بنفسه في ودادي النيل، وكمكافأة له لتخليض مدينة "طابا" من "الصمل" تزوج أوديب "بجوكاست" بعد زواجه من "جوكاست" أصيبت مدينة "طابا" بجائحة مرض الطاعون والعلاج الوحيد ضد هذا المرض هو حسب الكاهن (L'orache)إبعاد قاتل "لايوس" عن المدينة، خلال بحثه عن القاتل، اكتشف "أوديب" أنه هو ذلك القاتل الذي يبحث عنه كما اكتشف كذلك سر ولادته، في النهاية أدى به هذا الاكتشاف إلى فقأ عينيه، بعد ذلك أتمم "أديب" حياته في تشرد، هذه هي قصة "أوديب" التي فسر فرويد من خلالها ما يجري في نفسية الطفل في هذه المرحلة من الحياة حيث أن من وجهة نظره كل الأطفال في مثل هذا السن يكنون مغرمون بأمهاتهم ويغيرون من أبويهم الذين ينافسونهم في هذا الحب، وتؤدي هذه الغير بالطفل إلى الرغبة في التخلص من الأب، لكن تطور العقدة الأوديبية ينتج عنه إحساسا آخرا متمثلا في خطر جديد إذ أن يظن الطفل أنه لو استمر في رغبة امتلاك أمه جنسيا فهو يهين أباه، ومن هنا يمكن أن يتعرض إلى عقاب من طرفه متمثلا في الإخصاء.

يسمى فرويد هذا الخوف النوعي من الاخصاء في هذه المرحلة "بقلق الاخصاء" (L'angousse de catration) ويتصور الطفل الاخصاء عند ملاحظته الأعضاء التناسلية الأنثوية إذ يدرك أن الإناث ينقصهم الأعضاء الجنسية البارزة التي يملكها الذكور، حيث تبدو له وكأن الفتاة كانت مثله لكنها تعرضت للإخصاء، انطلاقا من هذا وكنتيجة "لقلق الاخصاء" يكبت الطفل رغبته الجنسية المحرمة اتجاه أمه وكذلك عدوانه تجاه الأب وهكذا يزول "مركب أوديب" عنده.

إضافة إلى "قلق الاخصاء" هناك عوامل أخرى تساهم في زوال "مركب أوديب "هي:

1-استحالة تلبية الرغبة الجنسية مع الأم.

2-كل الاحباطات التي تأتيه من طرف الأم والتي تساهم في تخفيض الميول اتجاهها.

3-عامل النضج حيث أن ينضج ويكبر الطفل، وبالتالي يفهم معنى الحلال، الحرام إلخ...

بعد أن يتخلى الطفل عن أمه "كموضوع حب Objet d'amour"، سواء يتقمص الموضوع المفقود (الأم) أو يدعم تقمصاته بالأب، ويقول فرويد إن: "اختيار أحد الاتجاهين راجع غلى فوة العوامل الذكرية والأنثوية في الإنسان، وهي بنيات تكوينية"، ويضيف قائلا: "يرث الإنسان ميولات الجنس الذكري والجنس الأنثوي، إذا كانت الميولات الأنثوية هي الأقوى فيميل الطفل بعد زوال "المركب الأوديبي" غلى تقمص الأم، والعكس صحيح، إذا كانت الميولات الرجولية هي الأقوى تتدع متقمصاته الأبوية.

لكن من وجهة نظر "فرويد" يمكن كذلك خلال المرحلة الأوديبية أن يمر الطفل بكلتى الحالتين:

-ويتمثل في تقمص الأب "Oedipe postif".

-ويتمثل في تقمص الأم "Oedipe Négatif ".

والأهم ذكره في النهاية هو أن التقمصات هي التي تساهم في تكوين "الأنا الأعلى"، ويقول فرويد أن "الأنا الأعلى وريث مركب أوديب".

انطلاقا من السنة الخامسة أو السنة السادسة أي مباشرة بعد كبت "عقدة أوديب" خوفا من الإخصاء وإلى غاية 12 سنة (مرحلة البلوغ) أين تنتعش من جديد الطاقة الجنسية نظرا للتغيرات الفيزيوزلوجية التي تحدث في هذه المرحلة، تدخل النزوات الجنسية والعدوانية في حالة شبه نوم، حالة كمون (

latence) هي ما يسميها فرويد "بمرحلة الكمون" (péride de latence).

–المرحلة القضيبية الأنتوية:

أول موضوع حب عند الفتاة مثلها عند الذكر علاوة على حب الذات (النرجسية) هو الأم، عندما تكتشف الفتاة أنها لا تملك الأعضاء التناسلية البارزة الموجودة عند الذكور تظن أنها ضحية الأخصاء، ومن هنا تحمل أمها مسؤولية هذا العطب، ويؤدي ذلك إلى انخفاض أو نقص (ضعف) نزوتها تجاهها، علاوة على هذا هناك عدة أمور أخرى تساعد في تخفيض حب الطفلة لأمها إذ أنها تلاحظ أنها ليست دائما أم حنون بل محبطة في بعض الأحيان، كذلك تكتشف أنها ليست وحدها موضوع حب الأم...، كل هذا يؤدي تدريجيا إلى ضعف الحب اتجاه الأم وتبدأ بتفضيل الأب عليها هذا الأخير الذي يكبر امتيازه ونفوذه عند الفتاة خاصة لأنه يمتلك ما تفتقر إليه أي العضو الذكري (pénis) هكذا يتحول الحب من الأم إلى الأب، ويكون حب الطفلة لأبيها ممزوج برغبة امتلاك ما تفتقر إليه أي العضو الذكري (pénis) هذه الرغبة هي التي يسميها فرويد برغبة العضو الذكري (l'envie du pénis)، وهي القطب الأنثوي "لقلق الإخصاء" عند الذكر.

الرغبة في العضو الذكري والخوف من الاخصاء l'angoisse de cadtration هما وجهان معاكسان لنفس الظاهرة: "مركب الاخصاء" (le complexe de castration)"مركب أوديب" و"مركب الاخصاء" هما الميزتان الأساسيتان للمرحلة القضيبية، عند الذكر طاقة مركب الاخصاء المتمثلة في "قلق الاخصاء" هي السبب أو الدافع الأساسي لكبت "مركب أوديب" بينما عند الفتاة "مركب الاخصاء" المتمثل عندها في الرغبة في العضو الذكري هو المسؤول عن دخولها في "مركب أوديب".

يحدث دخول الفتاة في "عقدة أوديب" عندما تستبدل الرغبة في الحصول على العضو الذكري بالرغبة في الانجاب، وذلك حسب المعادلة الرمزية التي تقول: "عضوي ذكري =طفل وهكذا تصبح الفتاة تحب أباها وتغير من أمها، وبالرغم من أن "مركب أوديب" الأنثوي يزول بصعوبة (لايوجد مبرر لزواله) كما هو الشأن عند الذكر (قلق الاخصاء) فمع ذلك فهو يكبت وذلك لعوامل عدة هي:

النضج، استحالة امتلاك الأب، خيبة الأمل في الأب...إلخ.

بعد كبت "المركب الأوديبي" عند الفتاة، يستبدل هذا الأخير بالتقمصات كما هو الشأن عند

الذكر، فالفتاة مثلها مثل الذكر تملك تكوينيا: الميل الأنثوي والميل الذكري، وتقمص أحد الوالدين محدد إلى درجة ما بقوة هذين التركيبين: فإذا كان العنصر الذكري هو المسيطر تتقمص الفتاة بصورة أكبر أباها وإذا كانت النزوات الأنثوية هي المتغلبة فتتقمص الفتاة أمها أكثر، لكن مثل ما هو الشأن عند الذكر الميلين (التقمصين) موجودين عند الفتاة أي الأوديب الإيجابي والسلبي والفتاة كذلك تمر بمرحلة "كمون جنسي".

انطلاقا من كبت "مركب أوديب" من 05 أو 06 سنوات إلى غاية 11 أو 12 سنة تدخل الفتاة كذلك في مرحلة الكمون.

–مرحلة الكمون:

يقول فرويد أن "بين السنة 06 والسنة 08 تقريبا يحدث توقف أو نكوص في النمو الجنسي هذا التوقف يستحق، وذلك في الحالة الاجتماعية الأكثر ملائمة، اسم مرحلة الكمون: (فرويد سنة 1917، ص 306).

تناسب هذه المرحلة حسب لاقاش (lagache) "نقص في الدفعات (poussées) النزوية ويكون هذا النقص محدد بالثقافة أكثر منه بالنمو البيولوجي (لاقاش، 1955، ص 31)، إلا أن من وجهة نظر فرويد «يمكن أن يحدث هذا النمو المشرط بالعضوية والمثبت بالوراثية، بدون تدخل أية تربية (فرويد سنة 1905، ص 70) مهما يكون من أمر، الأهم هو أن في هذه المرحلة أصبح الأنا قويا يعمل من أجل التحكم في النزوات مستعملا من أجل ذلك الميكانزمات الدفاعية التي تشكلت في المرحلة السابقة وخاصة منها التصعيد (التسامي،) والتكوين العكس (la formation réactionnelle)، في هذه المرحلة تحول طاقة الهوى عن هدفها الجنسي، وتوجه نحو اكتساب الثقافة وتكوين علاقات صداقة في الوسط العائلي أو المدرسي" (تران تونغ، سابق الذكر، ص 117).

عند وصول الطفل إلى سن البلوغ تنشط من جديد النزوة الجنسية وتنتقل من الشبقية الذاتية إلى اكتشاف الموضوع الجنسي، كما يحدث كذلك خضوع كل الميولات النزوية الجزئية (les pulsions partielles) التي كانت تستند إلى مناطق شبقية مختلفة لأولوية المنطقة التناسلية، هكذا يدخل الإنسان في المرحلة التناسلية.

المرحلة التناسلية:

تسمى المراحل الثلاثة التي وصفناها إلى حد الآن (القمية، الشرجية، القضيبية) في عام النفس التحليلي بالمرحلة "الماقبل التناسلية"، وتمتد هذه المرحلة على الخمس سنوات الأولى من الحياة، والشيء الذي يميز النزة الجنسية خلال المرحلة "الماقبل التناسلية" هو النرجسية الأولية (nardissisme primaire)، أو الشبقية الذاتية (auto-érotisme) وتعني النرجسية الأولية اللذة المحصل عليها عن طريق الإثارة الذاتية (Auto-stimulation)، هذه اللذة الكامنة في الجسد نفسه والتي يحصل عليها عن طريق المص مثلا أو الاستماء.

يعد الكمون تبدأ النزوة الجنسية في التطور تجاه الغرض البيولوجي التناسلي، يبحث الفرد في هذه المرحلة عن إشباع النزوة في مواضيع خارجية مغايرة الجنس، هذه المرحلة الأخيرة هي التي تسمى "بالمرحلة التناسلية" وتتميز باختيارات موضوعية.